آشور كبرى المدن الآشورية

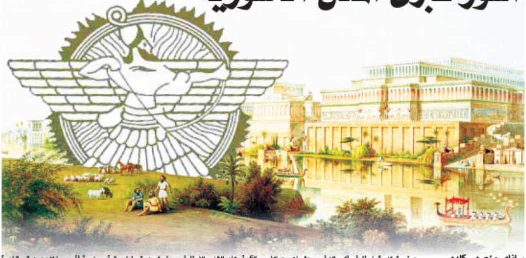

ساناي منصور كادو

تقع آشور اول عاصمة للآشوريين، على الضفة اليمنى لنهر دجلة وتعرف آثارها اليوم بالقلعة او بقلعة شرقاط وشرقاط بلدة واقعة على عشرة كيلو مترات من شمال القلعة. تبعد هذه الآثار عن الموصل نحو مئة وعشرة كيلو مترات والطريق بينهما معبّد صالح لسير السيارات ويتفرع من هذا الطريق، بالقرب من الآثار، طريق خاص تسلكه السيارات متجهة نحو الشرق فتخترق سوري المدينة الاثرية عند احدى بواباتها وهي بوابة "كابيرو" وتستمر في الاتجاه ذاته الى ان تقارب جرف النهر.

والاشوريون من الاقوام السامية سكنوا في شمال العراق واستقروا في منطقة حوض دجلة الاوسط حوالي ٣٠٠٠ ق م. وتتصف هذه المنطقة بطابعها الجبلي وكثرة وديانها النهرية ونمو الغابات واشجار الفاكهة والمراعي الطبيعية وهي غنية بأحجارها ومعادنها، خصبة في غلالها وثمارها، وقد عاشوا على شكل مشاعيات جبلية تعتمد في حياتها على الصيد وتربية المواشي والزراعة، كان أمراؤهم يتحينون الفرص للاستقلال بمدنهم عن حكم الدول المسيطرة في جنوب العراق.

برزوا كقوة منافسة على مسرح الاحداث في الشرق القديم في بدايات الالف الاول قبل الميلاد، حين استطاع ملكهم "ادد نيراري الثاني" ان يخضع الاقاليم المجاورة ويتحالف مع بابل، وبه بدأت الفتوحات الاشورية التي اسست صرح اعظم امبراطورية في التاريخ القديم، ضمن أقطار الشرق القديم. وأبتداء من زمن حكم هذا الملك، أرخ الاشوريون لخبارهم بالطريقة المعروفة بأسم "اللمو" وهي اعطاء تاريخ كل سنة يحكم فيها موظف كبير، ابتداء من اعتلاء ملك العرش.

ومن اشهر ملوك الاشوريين:

اشور ناصر بال الثاني ٨٨٤-٨٥٨ ق.م.

عرف بقوته وقد اوغل في فتوحاته في الجبال الشرقية والشمالية.

ادخل نظام الخيالة في جيشه بصورة واسعة، واتخذ الدبابات لاول مرة في التاريخ للهجوم على القلاع، وقسم المملكة الى اقضية يحكم كلا منها والي يعينه الملك ومن اهم اعماله تجديده لبناء مدينة كالح "نمرود". وقد شيد لها مسناة من الحجر المهندم على نهر دجلة، وبنى له فيها قصرا فخما من اعظم البنايات الاشورية. زينه بالواح كبيرة من الرخام نقشت نقشا بارزا بمناظر مختلفة تمثل الملك في صيده، وحروبه، والامراء الذين اخضعهم وهم يحملون اليه الهدايا والجزية.

سنحاريب ٧٠٥-٦٨١ ق م.

رغم ان التاريخ ميز شهرة هذا الملك كفاتح كبير، وكقائد عسكري لامع.. الا ان الحضارة تحتفظ باسمه مطورا كبيرا للفنون العمارة، وواحداً من ابرز الذين خططوا لفنون الري، وقد اهتم بحفر الترع والاقنية، وجلب المياه الى نينوى من منابع نهر الكومل في جبال باقيان، بعد ان سيرها في اقنية وعلى قناطر مبنية من الحجر.

اشور بانيبال ٦٦٩ - ٦٢٩ ق.م.

يلتمع اسم اشور بانيبال، لا كواحد من ابرز ملوك وادي الرافدين فحسب بل كبان من اشهر بناة الحضارة في التاريخ القديم.

كان مولعاً بالادب والفنون الجميلة.. جمع عدداً هائلا من الكتب.. وأمر بترجمة الواح الطين المكتوبة بالسومرية او الاكدية او البابلية.. وحفظها جميعا في مكتبته الشهيرة التي عثر عليها في نينوى.. اهتم بجمع العلوم وتصنيفها، فاستقطب حوله العلماء والكتبة من كل الامصار.. لقد عثر في مكتبته بقصره الخاص على اكثر من ٢٤ الف رقيم طيني في شتى حقول المعرفة.

وقد سميت آشور بهذا الاسم نسبة الى رئيس آلهتها "آشور" الذي كان معبده اضخم وأبرز وأجمل مباني المدينة من مبان كانت فيه ايضا مزارات لنحو عشرات من اكابر الآلهة، كان الاله اشور يصور بهيئة انسان "النصف الاعلى من الجسم فقط" في وسط مايمثل قرصا شمسيا وله جناحان مبسوطان وبيديه قوس يرمي سهما به ويبدو ان آشور كانت اكبر مدينة للآشوريين في عهودهم الاولى في وادي الرافدين فاتخذوها مركزا لادارة شؤونهم القبائلية ثم صارت عاصمة لملوكهم.

لقد اختار الاشوريون السكن في هذه الارض بسبب مناعتها للطبيعة ولأنها تشرف على ماحولها من موارد طبيعية كانت كقرية صغيرة اتسعت بمرور الزمن باتساع اقتصادياتها ومكانتها العسكرية حتى اصبحت عاصمة للامبراطورية الآشورية الكبيرة التي كانت تسيطر على بقعة كبيرة من العالم بقوتها ونفوذها، ففي اقدم الازمنة قام الملك الآشوري "اشبيا" وهو من الملوك الاشوريين الاوائل بتأسيس معبد اشور ومن بعده خلفه الملك "كيكيا" قام الاخير بإحاطة المدينة بسور وحصنتها تحصينا كاملا.

في نهاية الالف الثالث قبل الميلاد قام ملوك اور بضم اشور وغيرها من مدن الشمال الى امبراطوريتهم وبقيت اشور خاضعة لدول الجنوب حتى تمكنت في عهد ملكها "ايلو شوما" من ان تتحرر وتكسب استقلالها ومن ثم اخذت تبسط نفوذها في زمن ملكها "شمشي-ادد الاول" الى ماحولها من المدن والدويلات حتى بلغ نفوذها ضفاف الفرات فخضعت لها مدينة ماري "واثارها تعرف اليوم بالصالحية وهي على الفرات بالقرب من البو كمال" التي صار يدير امرها احد الامراء الاشوريين كما دانت المدن الواقعة بين الزابين بالولاء الى اشور ومنها الدويلات الصغيرة التي كانت في منطقة رانية وقلعة دزة في اقصى الشرق فلقد دلت على هذه الحقيقة التاريخية كتابات مسمارية منقوشة على الواح من الطين اكتشفت حديثا في تل شمشارة الواقع على الزاب الاسفل في سهل بتوين بقضاء رانية وتبين منها ان الموقع يضم بقايا مدينة "شوشرا" التي كانت مركزا اداريا في زمن شمشي-ادد تعترف له بالتبعية وتدين له بالولاء. غير ان نفوذ اشور لم يدم طويلا اذ ضمها الملك البابلي حمورابي في عام ٣١ من حكمه الى مملكته كما ضم بقية المدن الاشورية، وظلت اشور تابعة للبابليين حتى القرن الخامس عشر قبل الميلاد الذي فيه قويت شوكة الميتانيين القادمين من الشرق وتضاعف خطرهم على بلاد الاشوريين، رغم ماتعرضت المدن الاشورية من هجمات خارجية فقد تكونت مع الزمن حضارة اشورية لها طابعها الخاص وازداد بينهم التعاون والتكاتف نما كيانهم السياسي وصارت لهم مصالح اقتصادية مشتركة وقيم اجتماعية وثقافية واحدة بالاضافة الى عنصر اللغة والتراث القومي الذي كان يجمع بينهم على اختلاف الاماكن التي كانوا قد توطنوا فيها.

وبقيت اشور عاصمة للآشوريين تدار فيها شؤونهم الداخلية وصلاتهم مع الامم المجاورة لهم حتى اتخذ اشور ناصر بال الثاني مدينة كالح حاضرة جديدة لملكه فانتقلت الحكومة من اشور الى هذه المدينة الواقعة على الضفة اليسرى لدجلة قرب الزاوية المتكونة من التقاء الزاب الاعلى بنهر دجلة وتعرف اثار هذه المدينة اليوم بنمرود، غير ان هذا الملك لم يهمل شأن العاصمة القديمة لكونها كانت مقرا لاشور الاله الاعلى بين آلهة الاشوريين.

وفي زمن الملك شلمنصر الثالث "٨٥٩ - ٨٢٤ ق.م" جددت اسوار المدينة واعيد بناء ما كان قد تهدم من معابدها وقصورها، اتخذ الملك سرجون الثاني "٧٢١- ٧٠٥ ق.م" مدينة اشور عاصمة له في بدء حكمه ثم انتقل منها الى كالح غير ان اشور حافظت على مكانتها في نظره اذ انه اسقط عنها الجباية ومنح اهلها حقوقا واسعة فأصبحوا لايدعون الى الخدمة العامة في الجيش الاشوري، في كل زاوية من مدينة اشور اثر للملك سنحاريب "٧٠٥ - ٦٨١ ق.م" ينطق بأعماله العمرانية الواسعة التي قام بها في هذه المدينة باستخدام القوى الفنية المتيسرة لدى الشعب الاشوري، بعد موت الملك سنحاريب بنصف قرن من الزمن دب الخراب في مدينة اشور حيث شيدت دور سكنية على اسوارها واصبحت شوارعها العريضة مسالك ضيقة بحيث ان اسوارها لم تقو على صد الهجمات، دخلها الاعداء في عام ٦١٤ ق.م وسقطت نينوى بعد ذلك بسنتين فقد الاشوريون استقلالهم وتشتتت امبراطوريتهم التي هزت الممالك والامم حيث كان الاباطرة والملوك يخضعون اليها بأرادتهم او بدونها. ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك فقد استنزف هذا الحادث كل ما كان لديهم من طاقات عسكرية واقتصادية، من ذلك الزمن والى زمننا هذا مازال الشعب الاشوري يعاني من الظلم والاضطهاد هذا الشعب الذي كان اول الشعوب في وادي الرافدين وحضارته كانت مهدا للحضارات العالمية ومنها ظهرت الاختراعات التي اسست قواعد مهمة للثقافة في تاريخ البشرية. فقد تعرض للمذابح والقتل الجماعي والابادات ومحو الشخصية القومية بعد محاولات كثيرة لطمس الهوية الاشورية الهوية التي طالما افتخرنا بها كما افتخر بها من قبل اجدادنا والتي هي دليل وإثبات حتى على ان للاشوريين جذورا ضاربة في العمق الحضاري العراقي.

المصادر:

* عراق الاوائل. حضارة وادي الرافدين. د.الاب سهيل قاشا، العارف للمطبوعات .. ٢٠١٠ .

* اشور . فؤاد سفر.. . مديرية الاثار العامة. الطبعة الاولى ١٩٦٠ .

* العراق اليوم. ١٩٧٧

ministry of information
iraq / baghdad

واحات

عدنان الحسني

annajar44@yahoo.com

المونديال

ان كل نتيجة لفعل مطلوب منها ان تكون نتيجة ايجابية لابد لها من ان تمر افعالها بسير خطوات جادة مدروسة على اسس علمية ذات طابع جاد ليس هناك مجال للتساهل او اللامبالاة حيث ان نتيجة الفعل ان أريد لها ان تكون ايجابية بشكل يطغى عليه طابع التميز لابد لهذه النتيجة من ان يتصف فاعلوها بتلك الجدية والاخلاص حيث ان الاستيعاب يجب ان يكون في اعلى مراحله التصاعدية والا ان كان عكس ذلك تماما لوصلت الامور في شكل النتيجة وفحواها الى ادنى مستوى سلبي تترتب عليها كل التبعات غير محمودة العقبى.. فالانسان المتميز على صعيد الافعال وصولا للنتائج المرضية يجهد في مايريد الوصول اليه وتبقى نتيجة الفعل بدرجاتها هي التي تحدد طاقة تلك الافعال فيحصل التميز بين فعل وفعل وبالتالي تكون النتائج متفاوتة ولكن ضمن مستوى النجاح لا الفشل.. وبالتأكيد هذا ان يكون الا من خلال مقومات النجاح التي تتراوح بين الابداع والابداع ولابديل عن الابداع الا بمقدار التعلم من الاخرين للوصول الى حالة متميزة.. وينعكس هذا على كل الصعد في الحياة.. في المونديال الاخير في جنوب افريقيا من هذا العام ٢٠١٠ التقت فرق كروية مثلت دولها في هذا المحفل الكروي وجمهور كل فريق يهتف باسم فريقه اي باسم بلده وهو يحمل علمه ذلك ان الوطن حاضر امامه تبارت هذه الفرق كل على مستواه الذي هو فيه.. فرق كبيرة بمستواها وفرق اقل منها مستوى الا ان اللافت ان الفرق بالسمعة العالمية الكبيرة لم تفلح في ان تتعدى لتكون طرفا في المرحلة الثانية لم ينفعها اسمها خرجت من المنافسة بالخسران ذلك ان مقومات المحافظة على النجاح ترلخت لديها وكانت تنظر الى اسمها الكروي فقط من غيران تهيء للنجاح المتميز مقوماته.. لاعبون محترفون يضحون بأن يحرموا من اللعب وربما العقوبه من اجل بلدهم ليكون فريقه في المراحل المتقدمه حيث امسك الكرة بيده ولم يسمح لها بدخول المرمى.. كل ذلك ليكون التميز حاضرا!

حكايات جسور عراقية

هادي سلمان

هناك نكهة خاصة لأشياء كثيرة في عراقنا الحبيب وخصوصا اذا كان من هذه الاشياء المعروفة لدى العراقيين كجسر المسيب في كربلاء والجسر العتيق في الموصل فقد انشأ جسر المسيب عام١٩٣٧ وحسب اللوحة المثبتة عند مقتربات الجسر من الجهتين وهو من اندر الجسور التي تفتح للملاحة النهرية حيث ان غالبية الجسور تفتح الى الاعلى اما جسر المسيب فينفتح جانبيا ويفترض ان تنتهي صلاحيته بعد عشرين عاما من انشائه وحسب المواصفات الفنية للشركة لكنه صامد وفي الخدمة من دون اشارة الى زمان تقاعده ولا احد يعرف السبب الذي دفع المسؤولين في عام١٩٧٦ الى الغاء امتياز فتحة للملاحة البحرية وقد تم لحم مفاصل الحركة في الجسر الخشبي وكان عبارة عن اخشاب مربوطة بحبال متينة الا ان الحبال كانت تنقطع اثناء ارتفاع منسوب المياه وعندما قررت الحكومة آنذاك انشاء جسر حديدي بدلا من الخشبي، نقل الأخير الى مكان آخر في المدينة ذاتها لحين اكمال الجسر الحديدي الجديد وقد كان للجسر الخشبي ورشة صيانة وادامة ومجهز بكل الادوات المطلوبة وكلها بدائية الصنع.

وبدأ العمل بالجسر الحديدي بتثبيت جميع الركائز الحديدية داخل الماء ثم بدأ العمل فوق الماء بربط الحديد بطريقة هندسية وجعل قطعة من الجسر ترتفع الى اعلى وتستدير كي تمر السفن من وسطه ثم تم صب الملحقات الجانبية وبداية الجسر ونهايته وقد كان المهندسون البريطانيون هم من اشرفوا على كل هذه العمليات وقد أكمل بناؤه في عام١٩٣٧ ويبدو ان هذا الجسر الوحيد الذي يرى منحنيا وغير مستقيم. اما أغنية الموروث الشعبي التي تقول "على جسر المسيب سيبوني" جاءت بسبب ان الميت عندما كان يشيع من المسيب عبر الجسر حيث تنتظر المشيعين السيارات التي تنقلهم الى مدينة كربلاء فان المتوفي يفقد الامل بالعودة الى احبائه واهله فسيبوني تعني اتركوني. اما الجسر العتيق في الموصل فقد دخل جسر الملك غازي الاول الخدمة في عام١٩٣٤ فيعد جسر من القوارب هو الاول من نوعه الذي ربط بين جانبي الموصل و٣٩ قنطرة حجرية اضيفت لجسر نينوى الحديد لكن اهالي الموصل من شدة عشقهم له اعتادوا على تسميته بالجسر العتيق، فالجسر انشيء مستندا على ثمان دعامات حديدية مزدوجة ومن المفارقات ان الجسر العتيق برغم قدمه وصغر مساحته بين الجسور الموصلية الا انه الاكثر استخداما لذلك فهو يشهد ازدحامات واختناقات مرورية على مدار النهار، هذا الجسر الذي يتمنى الموصليون دوام عمره وان لايتقاعد او يزول في يوم ما لاي سبب لانه معلم كبير من معالم المدينة ويعد تراثا شعبيا يحمل في حناياه ذكريات وقصصا عميقة في حبكتها واناقتها فلكل مكان نكهة خاصة ونقاطه المشعة دون توقف..

ماهي أسباب التنافس والغيرة في العمل؟

شريفة الطائي

إن الغيرة والتنافس في العمل الوظيفي سواء كان الحكومي أو في القطاع الخاص يحمل في طياته معطيات كثيرة لكونه أحد أبواب إظهار المهارات الشخصية في ذات الفرد ويحاول إظهارها للعيان لكي تكون حقيقة ملموسة لمرؤسيه وتكمن هذه الحالة في التراكمات الإبداعية التي يحملها الشخص والذي يحاول أن يترجمها إلى أفعال وغالبا ما تصطدم هذه النزعة بمصالح أشخاص آخرين يعتقدون أنهم الأحق بهذا الظهور اللامع ولكنهم محرومون منه وذلك لضعف مقدرتهم الإدائية في العمل او عدم إتباع الطرق والوسائل السليمة لبروز الشخصية.. فمبدأ المحرومية والظهور من الجانب الآخر يوفر جوا من التنافس قد يأخذ طابعا إبداعيا من جانب ومن جانب آخر قد يؤثر على سير العمل الوظيفي وإنسيابيته.. وقد يستطيع شخص ما ان يتبوأ منصبا معينا عن طريق العلاقات الشخصية أو على حساب آخر وهنا تنشأ ظاهرة المظلومية التي يشعر بها الطرف الآخر لشعوره بأنه الأجدر على قيادة هذا المنصب الإداري أو الوظيفي....

وفي ميدان العمل الوظيفي الحكومي نجد أشخاصاً كثيرين لايحملون المؤهلات العلمية ولا الكفاءة والخبرة ولكنهم يتقلدون بعض المناصب على حساب أشخاص آخرين وهذا يجعل الإرباك واردا في العمل لبروز ظاهرة المظلومية في الإستحقاق وهذا النوع من الغيرة يأخذ شكلا تنافسيا سلبيا ينعكس على حلقات العمل ومفرداتها.. ويأخذ التنافس والغيرة في العمل بكافة أشكاله وخاصة في الإختصاصات المميزة منها الطبية والهندسية أو القانونية والفنية مجالا واسعا للإبداع والتنافس إذا كان مبنيا على أساس علمي تخصصي يتيح المجال لصاحبه من البروز وتقديم الإبداعات العلمية وهنا يجب أن نميز بين ظاهرة التنافس وبين الغيرة...

فالتنافس في العمل شيء مشروع لأن كلا الطرفين يريد أن يعبر عما يحمله كل منهما من معلومات كل في مجال تخصصه الإبداعي وينعكس هذا النوع إيجابيا على العمل ومجال تطوره لأن الطرفين يحاولان أن يقدما أفضل ما عندهما...

أما الغيرة في العمل قد تكون مبنية على فراغ أو ضعف في شخصية الموظف أو عدم إمتلاكه مؤهلا علميا يساعده على منافسة الآخرين فتبدأ الغيرة السلبية من زملائه والذين قد يتلو قوة في المقدرة والمؤهل العلمي وهذه الغيرة تكون عنصرا ضارا في العمل... فعلى المسؤولين معرفة الموظفين والبحث عن كفاءتهم في الأعمال التي تؤدي الى الإبداع في العمل الوظيفي لكي ينعكس بحال إيجابية وتعود بالمنفعة والتطور في العمل.....

متى نفكّر بمستقبلنا المنظور؟

أ.د. ستار الجميل

منذ سنوات طوال ، وكل الغيارى على مستقبلنا وعلى حياة أولادنا وأحفادنا، يناشدون المسؤولين في كل من دولنا ومجتمعاتنا، إجراء التغيير والإصلاح ضمانا لما ستأتي به الأيام القادمة.. ولقد طرح موضوع الشرق الأوسط والشمال الإفريقي على مائدة مستفيرة، لدى اجتماع الهيئة الدولية لدراسات المستقبل مع مطلع العام ٢٠١٠، ووجدنا كم هو المخاض صعب ونحن نقرأ المديات المستقبلية له، على ضوء المعلومات المتاحة. ونتأمل هول التحديات بأسى كبير! ويتساءلون عن انشغال الشعوب وتراجعها عن قدراتها وحيوياتها؟! وما الهوس الذي ينتاب المسؤولين في كل دولة ونظام سياسي؟ وما الصراعات الجديدة التي ولدت مؤخرا؟ ما الموديلات التافهة التي تعمّ كل الشباب؟ وكثيرة هي البلدان التي يعمها الفقر الآخذ في الانتشار بشكل كبير .

أما النساء ، فيفتقرن الى حقوقهن ، ويحرمن من التعليم المدرسي، وتعيش نسب عالية من الأطفال بلا تربية ولا ضوابط. وما زالت مجتمعاتنا راكدة إزاء متغيرات العالم. وإذا كانت تعيش مشكلات نهايات قرن مضى ولم تجد حلولا لها، فلقد تفاقمت اليوم مشكلات جديدة مع غياب المؤسسات المدنية، وتفاقم الاستياء الاجتماعي، وتصدير العنف، وانتشار الفساد، وحلول الانقسامات والمثالب والسوالب اكبر بكثير من الأعمال الصالحة. إن منطقتنا مجتمعة اكبر من حجم الولايات المتحدة، واكبر من حجم أوروبا أيضا. تحيط بها البحار المهمة وتزدحم بالخلجان والمدن العريقة. مواردها كبيرة إن أحسنت أساليب إنفاقها، ومجتمعاتنا حيوية وتمتلك تاريخا حضاريا مزدهرا في العالم.

كان العام ٢٠٠٥ قد دق جرس إنذار صاخب ببلوغ عدد سكان هذه المنطقة ٣٨٦ مليونا من البشر، مع تناقص في معدلات النمو في الشمال الإفريقي مقارنة بارتفاعها في أماكن أخرى. ويتوقع العديد من الخبراء أن سكان المنطقة برمتها، سيرتفع إلى ٥٨٥ مليونا في العام ٢٠٣٠.

وعلى الرغم من بلوغ الدخل القومي الإجمالي ٩١٠ مليارات من الدولارات، بفعل النفط والغاز عام ٢٠٠٤، مع متوسط دخل للفرد ٣٦٠٠ ,٢ من الدولارات، وان ارتفاع أسعار النفط سيرفع الرقم إلى ١,٧١٠ مليارات دولار في عام ٢٠٣٠، ولكن ثمة توقعات من نوع آخر، تقول بأن الإرهاب والحروب الباردة والأهلية والخارجية، وسياسات الاحتواء، والإنفاقات العسكرية والإعلامية وازدياد المافيات وتفاقم الفساد الإداري والسياسي والإعلامي.. الخ كلها ستسفر عن انخفاض في الدخل القومي الإجمالي*.

إن اغلبية مجتمعات المنطقة تتغذى على موضوعات غير واقعية وتشغل تفكيرها بتوافه الأمور، وتربّي أولادها على قيم وسلوكيات لا تتفق والواقع وحياة العصر. كما أنها غير قادرة ــ كما يبدو ــ على تغيير رؤيتها للعالم ، وتظهر وكأنها منفصمة الشخصية عن هذا العصر. كما أنها غير قادرة على استيعاب مفاهيم عامة، كالحريات والتمدن والقانون والثقافة العامة.

إنها تتسلح اليوم برؤية خاطئة إزاء الحياة ، تتصرف في كثير من قضايا الواقع على أساس الأحلام والأخيلة.. بل وتتغذى مع أجيال جديدة على مفاهيم خاطئة للدين والتاريخ والمستقبل والآخر.. إنها عادمة لنفسها بنفسها، نتيجة ما تعشّيه من أزمان سدى ، من دون أي فعل حضاري حقيقي.

لقد حددت مشكلات المنطقة الجديدة حتى العام ٢٠٣٠ ، ومنها: الإرهاب، والتعصب، والفساد الكبير، والدكتاتوريات، والهجرات السرية، والانقسامات الاجتماعية في المجتمعات المتنوعة، مع الانتشار والتهديد للعالم.

وضمن هذا السياق، فأن حلولا جاهزة ومعلّبة أثبتت التجربة أنها لم تنفع، فمن غير المثمر المناداة بالديمقراطية لشعوب لا تعرف معناها، ولا تتمثلها إلا في صندوق انتخابي! وعليه، تستوجب الضرورة إعادة تأهيل كامل للمجتمعات على مفاهيم التغيير والإصلاح تربويا وإعلاميا والاستفادة من تجارب العالم ضمن هذا السياق، كما تم تنفيذه في مجتمعات أخرى نالها الخراب، ثم استعادت طبيعتها. لقد أثبتت التجارب التاريخية، أن التدخلات الخارجية سببت كوارث لمجتمعاتنا، فكل مجتمع منها منشغل اليوم بملهاة أو مأساة ستأخذه حتما إلى الدمار من حيث لا يشعر.

إن مجتمعاتنا الجميلة والمتنوعة، لا تستحق كل ما جرى فيها من بوهيميا الخراب، ولا تستحق ــ أيضا ــ هذه الحياة التعيسة التي تثوي فيها، وهي لم تزل متخلفة ومكبوتة وضائعة، وتخشى على مستقبلها القريب كيلا تعيش مآسي جديدة من دون أن تجد طريقا جديدا تنطلق فيه نحو المستقبل.

وأخيرا، دعوني أقول بان الدعوات للإصلاح والتغيير، لابد أن تبقى مهما تجاهلتها نظم الحكم، والرد القوي على من يشيع أن تلك الدعوات لم تعد تنفع. إننا لسنا هنا في معرض لتقديم وصفات علاجية سريعة، كما يفعل بعض الطارئين على المنطقة من الذين لا يدركون فحوى مشكلاتها الصعبة، ولا يفهمون طبيعة مجتمعاتها..

ولكن ليس هناك من سبيل إلا العمل على تأسيس خطوة جادة على طريق طويل ، يختزل بتبديل السياسات الداخلية وتغيير المناهج الدراسية وتطوير الإعلاميات "وخصوصا المرئية منها" وقبل هذا أو ذاك، العمل على أن يكون المشروع مشتركا بين الدولة والمجتمع، مع تجسير العلاقة بين المسؤولين والمثقفين، وتشجيع أي تجربة ناجحة تكون نقطة مضيئة وضيئة على طريق المستقبل .

*" لقياس معايير الجودة انظر جداول وإحصائيات البنك الدولي: www.worldbank.org / وبصدد بيانات إحصائيات السكان عن الأمم المتحدة : "www.un.org/esa".

نشرت في البيان الاماراتية ١٠ شباط ٢٠١٠ .